

الواقعية في الأدب العربي:

س/ هل كان للادب العربي واقعية تماثل الواقعية الغربية ؟

ج/ إذا ما اطلعنا على الأدب العربي، فلا نظفر بواقعية ذات خصائص وأشكال فنية، على غرار واقعية الآداب الغربية، بل لا نظفر أيضاً بأي مذهب ادبي آخر له هذه الخصائص وله فلسفته التي يقوم عليها وإنما نجد اتجاهها وأساليب تلثقي في بعض خصائصها بالمذاهب الغربية كالرومانتيكية والواقعية والرمزية، ولكنها اتجاهات لا تفقد خصوصيتها العربية كما أنها لا تعدم الكثير مما انطبعت عليه هذه المذاهب الغربية، التي تأثر أدباؤها وشعراؤها بها منذ مطلع هذا القرن،

فإذا فسرنا الاتجاه الواقعي بأنه تصوير الواقع وتفسيره، فإن أدبنا العربي القديم لا يخلو من هذا الاتجاه ، فيشعر ما قبل الإسلام يحتشد بأكثر بالكثير من النماذج التي كانت سجلاً صادقاً للحياة العربية وقتئذ، ولكنه كما قلنا يستند إلى عفوية لا تتطبق انطباقاً شديداً مع الواقعية الغربية. وهذا الحكم ينسحب على كثير من الشعر الأموي، المتمثل بصورة خاصة في غزل عمر بن أبي ربيعة والغزل العذري.

وفي العصر العباسي يقترب كثير من الأدب العربي من واقعيته العفوية التي نجد لها أمثلة في بخلاء الجاحظ، وغزل أبي نواس وخمرياته، كما نجد لها أمثلة عند غير هذين الرجلين. س/ هل نجد خصائص الواقعية الغربية ماثلة في الادب العربي الحديث

ج/ وإذا كانت الواقعية في أدبنا العربي القديم، لا تمت بصلة إلى الواقعية الغربية، فإنها في العصر الحديث، تجسد الكثير من خصائصها ، وذلك للأسباب الكثيرة التي وضعت الجسور بين أدبنا العربي والآداب الغربية.

س/ في اي نوع ادبي ظهرت الواقعية ولمن ؟

ج/ تجلت الواقعية في قصص جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ومحمد تيمور وغيرهم وخصوصاً منها التي عالجت موضوعات الحب والزواج والإقطاع وغيرها.

وقد تقدمت خطوات واسعة بعد ذلك، في مجموعة من القصص التي تجلت فيها خصائص الواقعية النقدية عند طه حسين في (الأيام) وتوفيق الحكيم في (عودة الروح)، و(يوميات نائب في الأرياف) وأمين الريحاني في (قلب لبنان).

وغير ذلك من الأعمال التي صدرت بدافع المعالجة الاجتماعية والأخلاقية أو بدافع السيرة الذاتية أو التصويري الطبيعي المتداخل مع خلجات الأديب ومشاعره.

كل ذلك يؤكد تطور الأدب الواقعي نحو الأعماق والأصدق، واكتسابه الفني الإنساني الذي يؤهله لأن يأخذ طريقه جنباً إلى جنب مع الأدب الأوربي.

وتعد قضية (الريف) من أهم الموضوعات التي شغلت الروائيين الواقعيين العرب، منذ مطلع القرن العشرين، فقد عالجت العديد من الموضوعات، الغنية بالأحاسيس الصادقة، كموضوع الصراع الطبقي والعلاقة بين ملاك الأرض والفلاحين، وما يتصل بها من مسائل الإقطاع وما يسود ذلك تقاليد وعادات ومثل، وفي هذه الموضوعات يشكل الريف الأرضية الخصبة للقضايا التي عالجها الكتاب.

ويعد نجيب محفوظ في قصصه الواقعية من أبرز كتاب الرواية المعاصرين الذين تتجلى في كتاباتهم الواقعية عمق الرؤية، وهو أفضل من وفر في كتاباته المتطلبات الفنية لهذا الاتجاه.

س/ هل للواقعية تأثير على الادب القصصي في العراق ؟

ج/ تمتد جذور الاتجاه الواقعي في الأدب القصصي في العراق إلى أواخر العشرينات من هذا القرن وتقتزن باسم محمود أحمد السيد، رائد القصة العراقية، الذي كانت قصصه، بداية للقصة الفنية الواقعية في العراق، والذي تأثر فيما يقال ببعض القصص الروسي الواقعي الذي يصور حركة الصراع الاجتماعي، أمثال قصص دستوفسكي وتولستوي وتورجنيف، كما تأثر بالقصص الواقعي الفرنسي لأميل زولا وفرانسوا كويه، وكتاب المدرسة الحديثة في مصر وبخاصة محمود تيمور وكان محمود أحمد السيد غير واضح الاتجاه في قصصه الواقعي لأنه لم يدرك ما يعنيه هذا الاتجاه ولذلك جاءت واقعيته ساذجة وبسيطة، وتفتقر إلى المتطلبات الفنية المهمة للرواية الحديثة ويبدو أن هذا الاتجاه، كان أكثر وضوحاً في رؤيته الفكرية، واشد توفيراً لمتطلباته الفنية، عند (ذو النون أيوب) وخاصة (الواقعية السياسية) فيه وقد تم له ذلك في منتصف الثلاثينات من هذا القرن.

س/ على يد من تمثلت الواقعية السياسية في القصة العراقية ؟

ج/ تمثل الاتجاه الواقعي السياسي في القصة العراقية، لدى مجموعة من الكتاب، أمثال عبد الرزاق الشيخ علي وغائب طعمة فرمان ومهدي عيسى الصقر وغيرهم.

وقد تطورت هذه الواقعية السياسية لدى مجموعة أخرى من الكتاب، ضمنوها الكثير من الأصول الفنية التي لا غنى عنها في هذا الفن، لذلك اطلق عليها بالواقعية الفنية، وكان ابرز ممثليها فضلاً عن (ذو النون أيوب) أنور شاول وشالوم درويش وعبد الحق فاضل غير أن (ذو النون أيوب) يعد في نظر البعض أباً شريعياً للواقعية السياسية في القصة العراقية، حيث امتلأت قصصه وروايتها بالنقد الاجتماعي وبالمواقف السياسية الجريئة والرؤية الإنسانية التقدمية التي تظهر على الخصوص في روايته (الدكتور إبراهيم) و (اليد والأرض والماء) أما الواقعية الاجتماعية النقدية، فيصدر كتابها غائب طعمة فرمان الذي يعد رائدها الأول في روايته (المبعدون) ويليه في هذه الريادة (هشام توفيق الركابي) الذي يسعى إلى تعميق وتطوير هذا الاتجاه في الرواية العراقية الواقعية.

كما يتمثل في روايات العديد من كتاب الجيل التالي لهؤلاء مثل عبد الرحمن مجيد الربيعي في روايته (الأنهار) و(القمر والأسوار) وموفق خضر في روايته (الاغتيال والغضب) وغير هؤلاء من الكتاب الذين وفروا في روايتهم وقصصهم الكثير من مستلزمات هذا الاتجاه، وهي مستلزمات لا غنى عنها في كتابة الرواية الفنية الحديثة.

غير أن هذا الاتجاه في القصص الواقعي العراقي، لم يحرز التقدم الفني المطلوب قبل الحرب العالمية الثانية، فمنذ آنذ أكدت القصة على إبراز الشخصية العراقية وتصوير البيئة، وتجسيد تطلعات الشعب، وتصوير آثار الاستعمار، وفساد الحكم، واستغلال النفوذ وسوء توزيع الثروات.

وقد تميزت هذه القصص بظهور الطابع المحلي فيها، وحضور الطبقة الوسطى والفقيرة. كما أنمازت بالتطلع نحو مستقبل مشرق للشعب العراقي، وتنبأت بانتصاره على التخلف والاستعمار.

س/ ما سمات القصص التي مثلت الاتجاه الواقعي في العراق

ج/

١- حملت هذه القصص قدراً كبيراً من الصدق في التصوير، إلا أنها أصيبت بظاهرة الاستطراد في سياق الحوادث، ولكن بعضها لم يخل من التركيز في تصوير هذه الحوادث

٢- تمكن بعضها من تقديم الحدث النموذجي في صور موحية، وتحقق في بعضها العنصر الدامي الذي أكسب حبكتها طبيعة عضوية فنية.

٣- رسمت القصص الواقعية صور أبطالها من الناس العاديين، والذي ينتمي معظمهم إلى الطبقة الفقيرة البرجوازية.

٤- إلى جانب الشخصيات العادية النامية في الرواية العراقية الواقعية، نلاحظ شخصيات بسيطة غير معقدة.

٥- على الرغم من تميز أساليب بعض كتاب القصة الواقعية العراقية، إلا أن أساليب بعضهم قد انحطت إلى مستوى الأسلوب الصحفي.

٦- اصطنع بعضهم اللهجات العامية التي تناسب شخصيات الرواية، واعتمد بعضهم الآخر أسلوب السرد الرتيب الذي يفتقر إلى مقومات الفن الأصيل.

وهذه العيوب تشير إلى أن الفن القصصي العراقي لم يصل في مستواه الفني آنذ مستوى مقبولاً من النضج.

س/ بعد استقرار الاتجاه الواقعي ، هل شهدت الساحة نقدا واقعيًا؟

ج/ قامت الدعوة إلى النقد الواقعي على اثر استقرار الاتجاه الواقعي في الأدب العربي الحديث، الروائي منه على الخصوص، فنادى انصار هذه الدعوة بربط النقد بالسياسة وبالواقع الاجتماعي، وسمى محمد مندور هذا المنهج النقدي (الأيدولوجي) وهو منهج يطلب من الأديب والفنان ان يستجيبا لحاجات العصر وقيم المجتمع بطريقة تلقائية، ويمكن إبراز اهم سمات هذه الدعوة في النقد بالتأكيد على المضمون دون الشكل على الرغم من ان الواقعية، تربط ربطاً عضوياً بين الشكل والمضمون، وبإبراز القيمة الكفاحية للأدب، والتأكيد على الوجه الإنساني للأدب الاشتراكي.

والمقصود بالإنسانية، السمات المشتركة التي تجمع بين البشر المعذبين، ومن ذلك الدعوة إلى شعبية الأدب، بوصفه ممارسة ثورية تقف بجانب الطبقة المكافحة وتعمل على تغيير صورتها الراهنة بما هو أفضل.

ومن ذلك أيضاً، التشدد في الاحكام النقدية، ضد التيارات المعاكسة للاتجاه الواقعي الاشتراكي على الخصوص.

هذا وقد تميز أسلوب هؤلاء النقاد بلهجة خطابية تغلب عليها المواقف الانفعالية. ومما انطبع عليه أصحاب هذا الاتجاه الاشتراكي، تصنيفهم للأدباء على حسب ميولهم السياسية، وعلى نظرتهم المادية بصورة مباشرة. وكذلك حكمهم على الآثار الأدبية في ظل تفسيرهم الطبقي، ويبدو هذا في نقد محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس وحسين مروة.